التأثر بآيات الله
وصفات المتأثرين

إهداء للمشاركين في
الدورة العلمية بجمع الموسى بالرياض

جمادى الأولى ١٤٣١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المتأثرون بآيات الله

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣﴾.

وهم الذين تلقوا آيات الله وعملوا بها وعاشوا من أجل تحقيق الهدف من إنزالها وماتوا على ذلك. "ووصفهم الله بالإحسان إشارة إلى الإحسان في القول والعمل وهو حقيقة الإيمان، فلا بد للإيمان – الذي يوصف هنا بالإحسان – من واقع عملي، فهو ليس كلمة تقال باللسان ولكنه حقيقة في القلب وعمل في الواقع"[1].

وهؤلاء المتأثرون قد انتفعوا بآيات الله المتلوة والمشاهدة كما في آيات هذه السورة وغيرها.

وسيكون الحديث عنهم في أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الانتفاع بالقرآن.

المبحث الثاني: أسباب الانتفاع بالآيات الأخرى.

المبحث الثالث : صفات المحسنين المتأثرين بما يسمعون ويشاهدون من آيات الله.

المبحث الرابع: نتيجة التأثر بآيات الله وجزاء المتأثرين.

---

(١) دراسات قرآنية ص٢٠٠.

المبحث الأول

أسباب الانتفاع بالقرآن

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢﴾

فوصف الله لنا الناجين بأنهم على هدي من القرآن ، متبعين لآيات الله علماً وعملاً واستسلاماً لله في ذلك ، وبذلك نالوا ماوصف الله من النجاة والنعيم في الدار الآخرة واستحقوا وصف الاستمساك بالعروة الوثقى.

ووصف من أعرضوا مصرحين بقلة الاكتراث وبالانتصاب للجفاء والعداء لم جاء به القرآن من الصفات التي شأنها أن تقربهم إلى تلقيه لا أن يَبعدوا ويعرضوا وقد جاء بالتفصيل بأقوالهم التي حرمتهم من الانتفاع بالقرآن واحداً واحداً كما ستعلمه .

وعند التأمل فيما تضمنته آيات السورة خصوصاً وآي الكتاب عموماً في هذا الباب نجد أمرين مهمين جمعا أسباب الانتفاع بالقرآن:

الأمر الأول: حضور القلب عند سماع وقراءة القرآن:

قال ابن القيم عليه رحمة الله: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه، منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة قّ ٣٧]. وذلك أن تمام التأثير لّما كان موقوفاً على:

١ -مؤثر مقتضٍ.

٢ -ومحلٍ قابل.

٣ -وشرط لحصول الأثر.

٤ -وانتفاء المانع الذي يمنع منه.

تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد؛ فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ه اهنا — وهو الاحتجاج بالآيات الكونية المشاهدة- وهذا هو المؤثر. وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ فهذا هو المحل القابل؛ والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة يس ٦٩-٧٠]، أي: حي القلب .

وقوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: وجه السمع، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ أي: شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيابه عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله"(٢).

الأمر الثاني: تفهم معاني الآيات وإنزالها على نفسه:

"وينبغي للتالي أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، ويتفهم ذلك، فإذا تلا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة الأنعام ١]، فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يريد، وإذا تلا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الواقعة ٥٨]، فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء كيف تنقسم إلى لحم وعظم،..وإذا تلا أحوال المعذبين فليستشعر الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر.. وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السمر بل العبر، فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتَبَهُ سيده بمقصود، وليتأمل الكتاب وليعمل بمقتضاه"(٣).

(٢) الفوائد ص٣.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ٥٥.

وإن الأسباب التي تجعل العبد ينتفع بالقرآن المرتبطة بهذين الأمرين كثيرة مبثوثة في الكتاب والسنة وكلام العلماء الصالحين، ومنها على سبيل المثال مع الإجمال والاختصار:

١) أن يعلم أن القرآن كلام الله عزّ وجلّ:

لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٢] وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] وقال: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[الإسراء:١٠٥] والآيات الكثيرة تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلاً وآيات أخر تدل على كونه منزلا(٤).

٢) الإيمان بالله تعالى:

فإن الآيات إنما ينتفع بها المؤمن؛ فإن الإيمان أكبر ما يكون تأثيرا في الانتفاع بآيات الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة ٢٩٨] "والإنسان إذا ازداد إيمانا ازداد فهما لكتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله ﷺ؛ لأن الشيء إذا علق على وصف فإنه يزداد بزيادة ذلك الوصف، وينقص بنقصانه؛ فكلما تم الإيمان كان انتفاع الإنسان بآيات الله أكثر، وفهمه لها أعظم"(٥).

---

(٤) انظر: تفسير الرازي ٢٣٨/٢٦.

(٥) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين ٢٢٠/٣.

٣) أن يعلم أن الله أراد بهذه الألفاظ المعاني التي هي موضوعة لها:

فهو كما وصفه مُنْزِلُه تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤٢]، ولا يليق بالحكيم إلاّ الكلام لحكمةٍ تقتضي ذلك(٦).

٤) حياة القلب والأخذ بأسبابه:

كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس:٦٩-٧٠] وقال في موضع آخر: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧]" فإن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو كذلك(٧).

٥) أن يحرص على الانتفاع بالقرآن في شتى وجوه الانتفاع:

"فقد أنزل الله القرآن:

١- للإيمان به.

٢- وتعلمه وتلاوته.

٣- وتدبره.

٤- والعمل به.

٥- وتحكيمه.

٦- والتحاكم إليه.

٧- والاستشفاء به من أمراض القلوب وأدرانها.

---

(٦) انظر: تفسير الرازي ٢٣٨/٢٦.

(٧) انظر: إغاثة اللهفان ٢١/١-٢٢.

إلى غير ذلك من الحكم التي أرادها الله من إنزاله. ويحصل الهجر للقرآن من الشخص بقدر ما يحصل منه من الإعراض عن الانتفاع به بأي وجهٍ من الوجوه"[٨].

٦) تَفَهُم القرآن وتدبره:

فيجتهد ما استطاع في ذلك عند قراءته فإنها مواهب من الكريم الوهاب يعطيها لمن صدق في طلبها وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩][٩]. ومما يعين على تدبر القرآن وفهم معانيه قراءة بعض التفاسير المختصرة المفيدة: كتفسير ابن كثير الدمشقي، ومختصراته كعمدة التفسير والمصباح المنير، وتفاسير الشيخ ابن سعدي. أو ما يُعنى بتفسيره الإجمالي: كالمصحف الميسر -طباعة مجمع الملك فهد، وزبدة التفسير مختصر فتح القدير للأشقر، وملخصه نفحة العبير من زبدة التفسير وغيرها، مع العناية باختيار الأسلم في مسائل الاعتقاد وتتبع معاني كلام الله.

ومجاهدة النفس والأخذ بأسباب التدبر: كمعرفة معاني الكلمات والقراءة بعيداً عن الشواغل، ونحو ذلك، حتى يتسنى له الانتفاع بما يقرأ[١٠].

---

(٨) وانظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٠٤/٤.

(٩) وانظر: تدبر القرآن د.اللاحم ص٤

(١٠) فتاوى الشبكة الإسلامية رقم الفتوى ٣٥٠٠٥ بعنوان : فَوَّت على نفسه الانتفاع بالقرآن، تاريخ الفتوى : ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

٧) أن يجتهد ما استطاع في الخشوع والخضوع لله عند قراءته:

قال النووي رحمه الله: "فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]. والأحاديث فيه كثيرة وأقاويل السلف فيه مشهورة."(١١).

٨) الاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل:٩٨]، ليكون الشيطان بعيدا عن قلب المرء، وهو يتلو كتاب الله حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن وتفهم معانيه، والانتفاع به؛ فإذا قرأته وقلبك حاضر حصل لك من معرفة المعاني والانتفاع بالقرآن ما لم يحصل لك إذا قرأته وأنت غافل، وجرب تجد.(١٢).

٩) عدم تقديم شيء بين يدي كلامه سبحانه:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم

(١١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٧

(١٢) انظر: الشرح الممتع ٣/٤٠ باب صفو الصلاة باختصار وتصرف.

مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١ – ٣]. ومن ذلك **حسن الأدب بخفض الصوت عند سماع كلامه.**

١٠) الاستماع للقران والإنصات له:

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، والإنصات : السكوت للاستماع والإصغاء والمراعاة وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه(١٣). (١٤). وقال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة:١٦–١٩].

١١) إن حسن الأداء هو طريق الانتفاع بالقرآن:

كما قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل: ٤ – ٥] (١٥).

---

(١٣) صحيح البخاري كتاب التفسير باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤٥٨٢). ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر(٨٠٠).

(١٤) انظر: زاد المعاد ١/ ١٨٩ الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٥٤.

(١٥)انظر: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء أحمد بن محمد بن عزت شاه الحنفي :

١٢) مدارسة القرآن وعلومه:

بأن يحضر حلقات العلم ليستفيد ويتذاكر مع إخوانه الذين يرجو أن يكون عندهم علم حتى يستفيد من علمهم، وحتى يضم ما لديهم من العلوم النافعة إلى ما لديه من العلم، فيحصل له بذلك خير كثير ويحصل له بذلك الفقه في الدين، والبعد عن صفات المعرضين والغافلين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[١٦][١٧].

والخلاصة: قال ابن القيم رحمه الله لما ذكر هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾: "فإذا حصل المؤثر وهو: القرآن، والمحل القابل وهو: القلب الحي، ووجد الشرط وهو: الإصغاء، وانتفى المانع وهو: اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر؛ حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر"[١٨].

---

(١٦) مسند أحمد ٢/٢٣٤(٧١٩٣) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٧) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٩/٢٨٣.

(١٨) تقدم تخريجه.

المبحث الثاني

أسباب الانتفاع بالآيات الأخرى

إنّ أسباب الانتفاع والاتعاظ قد جمعها الله في أمرين جمعا أسباب الانتفاع بالقرآن: وهما حضور القلب عند سماع وقراءة القرآن مع تفهم معاني الآيات وإنزالها على نفسه. ومع ذلك فقد أقام الحجة على خلقه بآياته الكونية- أفقية ونفسية أيضاً، ولذا نجد في آيات السورة ذكراً للأسباب التي تجعل العبد ينتفع بالآيات الأفقية والنفسية.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي

ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقد أكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وأمر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء وبالتفكر فيهما.

وإن من أعظم أسباب الضلال عدم تدبر القرآن وترك التفكر في حال الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله. كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٢ – ١٨٦]

ولذا فإن ما تضمنته آيات السورة خصوصاً وآي الكتاب عموماً في هذا الباب يحتاج للنظر من وجهين:

أولاً: لا تنفع الموعظة إلا لمن آمن بالله وخافه ورجاه:

"آمن بالله وخافه ورجاه كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [سورة هود ١٠٣] وقال: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الأعلى ١٠] وقال: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾

[سورة النازعات ٤٥] وأصرح من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة ق٤٥].

ومن أخص ذلك الإيمان بالوعد والوعيد وتذكره فإنه شرط كذلك في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر، يستحيل حصوله بدونه.

١ -**وتستبصر العبرة بثلاثة أشياء: (بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض)**

أ- **فحياة العقل**: هي صحة الإدراك وقوة الفهم وجودته وتحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به وهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه. وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور وضعفه ووجوده وعدمه يقع تفاوت أذهانهم وأفهامهم وإدراكاتهم ، ونسبته إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى العين.

ومن تجارب السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة أن من أدمن: **[يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت]**[١٩]، أورثه ذلك حياة

---

(١٩) يشير إلى حديث ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: "إن ربكم حي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صفراً، لا خير فيهما، فإذا رفع أحدكم يديه فليقل: يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا أرحم الراحمين - ثلاث مرات - ثم ذا رد يديه فليفرغ الخير على وجهه". أخرجه الطبراني في الدعاء ٢٧٥/١ (٨٨٠) قال الهيثمي٣٨/١١ "رواه الطبراني وفيه الجارود بن يزيد وهو متروك". ولكنه صح بلفظ آخر عن أنس قال: سمع النبيﷺ رجلا يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ياحي ياقيوم. قالﷺ: (لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به

القلب والعقل، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جداً وقال لي يوماً: لهذين الاسمين -وهما الحي القيوم- تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم وسمعته يقول: من واظب عليها أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر **[يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث]**[٢٠] حصلت له حياة القلب و لم يمت قلبه[٢١].

أجاب) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٧/٦ (٢٩٣٦١)، وأحمد ٢٣٠/١ (١٣٨٢٤)، وأبو داود ٧٩/٢ (١٤٩٥)، والترمذي ٥٥٠/٥ (٣٥٤٤)، وقال: غريب. والنسائي ٥٢/٣ (١٣٠٠)، وابن ماجة ١٢٦٨/٢ (٣٨٥٨)، وابن حبان ١٧٥/٣ (٨٩٣)، والحاكم ٦٨٣/١ (١٨٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم. والضياء ٢٥٧/٥ (١٨٨٥). وصححه الألباني (ابن ماجة ٣٨٥٨)

(٢٠) يشير إلى حديث أنس مرفوعاً (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) أخرجه النسائي ١٤٧/٦ (١٠٤٠٥) والترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ٩٢ (٣٥٢٤٩). وأخرجه الحاكم ٧٣٠/١ (٢٠٠٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٦/١ ، رقم ٧٦١) ، والضياء (٣٠٠/٦ ، رقم ٢٣٢٠) وقال: إسناده حسن . وعن ابن مسعود أخرجه (البزار) [كتر العمال ٥٠١٠] والحاكم ٦٨٩/١ (١٨٧٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٥٨/٧ (١٠٢٣١) .

(٢١) لم أجده عن شيخ الإسلام ولعل حكاية ابن القيم له كافية. وينتبه لقول الشاطبي في الاعتصام: ١٩٩/١ "الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة، أو النذرة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا، كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة ياحي

ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها وسر ارتباطها بالخلق والأمر وبمطالب العبد وحاجاته؛ عرف ذلك وتحققه، فإن كل مطلوب يُسْأل بالمناسب له. فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك.

ب- وأما معرفة الأيام: فيحتمل أن يريد به أيامه التي تخصه وما يلحقه فيها من الزيادة والنقصان ويعلم قصرها وأنها أنفاس معدودة منصرمة، كل نَفَسٍ منها يقابله آلاف آلاف من السنين في دار البقاء، فليس لهذه الأيام الخالية قط نسبة إلى أيام البقاء والعبد منساق زمنه وفي مدة العمر إلى النعيم أو إلى الجحيم وهي كمدة المنام لمن له عقل حي وقلب واع، فما أولاه أن لا يصرف منها نَفَساً إلا في أحب الأمور إلى الله فلو صرفه فيما يحبه وترك الأحب لكان مفرطاً، فكيف إذا صرفه في ما لا ينفعه؟! فكيف إذا صرفه فيما يمقته عليه ربه؟! فالله المستعان ولا قوة إلا به.

ويحتمل أن المراد بالأيام أيام الله التي أمر رسله بتذكير أممهم بها كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة إبراهيم ٥] وقد فُسِّرَت أيام الله بنعمه، وفسرت بنقمه من أهل الكفر والمعاصي،

ياقيوم لا إله إلا أنت فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته ، وكون الذكر يحيى القلب صحيح شرعا، وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير، وهو من ناحية البشارة، وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين، وإذا لم يوجد على اللزوم استقام."أ.هـ ففيه تنبيه لطيف ، وأن هذا الدعاء متداول قبل شيخ الإسلام رحم الله سادات الأمة وعلمائها.

وأيامه تعم النوعين، وهي وقائعه التي أوقعها بأعدائه ونعمه التي ساقها إلى أوليائه، وسميت هذه النعم والنقم الكبار المتحدث بها أياماً لأنها ظرف لها، تقول العرب فلان عالم بأيام العرب وأيام الناس أي: بالوقائع التي كانت في تلك الأيام.

فمعرفة هذه الأيام توجب للعبد استبصار العِبَر وبحسب معرفته بها تكون عبرته وعظته قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[سورة يوسف ١١١].

ج- **أما السلامة من الأغراض**: وهي: متابعة الهوى. والانقياد لداعي النفس الأمارة بالسوء. فإن اتِّباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرة العبرة معه البتة، والعبد إذا اتَّبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحَسَن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل؛ فأنى له الانتفاع بالتذكر والتفكر أو بالعظة.

٢- **وإنما تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء**: أحدها: قصر الأمل، والثاني: تدبر القرآن، والثالث: تجنب مفسدات القلب"[٢٢].

٣- "**وأما أفعاله ومخلوقاته**- سبحانه- ففي الذي أشهدناه عبرة لما لم نشهده، والغائب من جنس الشاهد، وذلك لأن المماثلة ثابتة في المفعولات، كما قال تعالى: ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ،فلو لم يكن الغائب من أفعاله تعالى نظيرا للشاهد

(٢٢) مدارج السالكين ١/٤٤٧-٤٤٩ بتصرف واختصار.

لم يجز رده،...!! فكيف إذا كان الغائب نظير الشاهد ، حيث أشهدنا إبداع الجواهر وصفاتها بعد عدمها، يا سبحان الله أيما أبلغ في عقل الإنسان!! إبداع الإنسان بعد عدمه؟ أم إبداع طينته التي خُلق منها بعد عدمها؟؟ فإذا كان قد شهد هذا الجوهر العظيم الموصوف بصفات الكمال بعد عدمه، أفليس ذلك أعظم من إبداع تراب أو ماء بعد عدمه؟ والله سبحانه وتعالى لما خلق السموات والأرض خلق آدم آخر المخلوقات، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة(٢٣)، ومن خلق آخر المخلوقات لم يمكنه أن يشهد خلق نفسه، ولا ما خلق قبله، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١] وله فيما شهده في المخلوقات عبرة فيما لم يشهده"(٢٤).

٤- "**وكل ما خلقه مما فيه شر جزئي إضافي** ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك، مثل إرسال موسى إلى

---

(٢٣) يشير إلى حديث أبي هريرة قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال (خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩) ج٢١٤٩/٤ ، وأحمد ٣٢٧/٢ (٦٣٢٣). والنسائي في الكبرى ٢٩٣/٦ (١١٠١٠). وابن خزيمة ١١٧/٣ (١٧٣١) ، وأبو يعلى ٥١٣/١٠ (٦١٣٢) والديلمي ١٨٤/٢ (٢٩٢٧) .

(٢٤) تلبيس الجهمية ٢٩٣/١.

فرعون فانه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه وذلك شر بالإضافة إليهم، لكن حصل به من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة والاعتبار بقصة فرعون ما هو خير عام فانتفع بذلك أضعاف أضعاف من استضر به كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف ٥٥-٥٦]وقال تعالى بعد ذكر قصته: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النازعات ٢٦].

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم شقي برسالته طائفة من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب وهم الذين كذبوه و أهلكهم الله تعالى بسببه ولكن سَعُد بها أضعاف هؤلاء"[٢٥].

ثانياً: والأسباب التي تجعل العبد ينتفع بالآيات الأفقية والنفسية

كثيرةٌ مبثوثةٌ في الكتاب والسنة وكلام العلماء الصالحين، ومنها على سبيل المثال مع الإجمال والاختصار:

١) تذكر ما أنعم الله عليه به من النعمة:

قال الله عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥] فيجب أن يتذكر المؤمن بأس الله، وشدة انتقامه ممن لم يشكر نعمته.

(٢٥) مجموع الفتاوى ١٤/٢٧٦.

٢) تذكر وقائع الله في الأمم السالفة:

قال الله عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٥] فيجب أن يتأمل المؤمن ما أنعم الله على من قبله ممن آمن بالرسل فيما مضى من الأيام، وينظر بأس الله، وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله.

٣) الصبر والشكر:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [لقمان:٣١] وقال عن الفلك أيضاً: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الشورى: ٣٣]. وقال في سبأ: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٩] وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٥] فـ(**الصبار**) الكثير الصبر، كما قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٧] فلا بد من الصبر قبل الاعتبار ليكون نافعاً. و(**الشكور**) الكثير الشكر.

وإنما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وإن كان فيها عبرة للكافة لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات، فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

٤) اليقين:

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات:٢٠-٢٣] فإنه يورث الانتفاع بالآيات والبراهين(٢٦).

ونحن نشاهد الإنسان الذي عنده يقين راسخ إذا مر بآية من الآيات الكونية، أو مر بآية من الآيات الأرضية، إذا شاهد مكانا للمعذبين؛ فإنه يرق قلبه، وتتمالكه مشاعر كثيرة لا يستطيع أن يعبر عنها، ولربما دمعت عينه وبكى، فالآيات إنما تؤثر وتحرك نفوس أصحاب اليقين، أما أهل الغفلة، فإنهم لا ينتفعون بها؛ ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة يوسف:١٠٥].

٥) الإيمان:

لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الشعراء:٧-٨] وقال عيسى لقومه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران:٤٩] "فالإيمان أكبر ما يكون تأثيرا في الانتفاع بآيات الله عز وجل؛ فكلما تم الإيمان كان انتفاع الإنسان بآيات الله أكثر، وفهمه لها أعظم"(٢٧). ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين، فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله،

---

(٢٦) انظر: مدارج السالكين ٣٩٧/٢.

(٢٧) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين ٢٢٠/٣.

والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلا وفطرة، وشرعاً"[٢٨].

٦) النظر إلى ما حوله، ولاسيما ما يحتاجه:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام:٩٩] "فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت.. والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ ﴾ نظر فكر واعتبار ﴿ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ أي: الأشجار كلها، ﴿ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده"[٢٩].

٧) العقل:

قال الله تعالى: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤ والرعد:٤ والنحل:١٢ والروم:٢٤] وقال تعالى: ﴿ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل: ٦٧] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(٢٨) تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٧.

(٢٩) المصدر السابق.

[العنكبوت:٣٥] وقال تعالى: ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم:٢٨] وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [البقرة:١١٨] وقال تعالى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجاثية:٤-٥]

"والمراد بقوم يوقنون، وبقوم يعقلون واحد، وهم المؤمنون بتوحيد الله فحصل لهم اليقين وكانوا يعقلون، أي: يعلمون دلالة الآيات. والمعنى : أن المؤمنين والذين يُوقنون: يعلمون ولا يكابرون، والذين يعقلون دلالة الآثار على المؤثر ونظروا النظر الصحيح في شواهد السماوات والأرض فعلموا أن لا بد لها من خالق وأنه واحد فأيقن بذلك العاقل منهم الذي كان متردداً، وازداد إيماناً من كان مؤمناً فصار موقناً.

فالذين انتفعوا بالآيات هم المؤمنون العاقلون، فوزعت هذه الأوصاف على الآيات لأن ذلك أوقع في نفس السامع من إتْلاَءِ بعضها لبعض، وقُدم المتصفون بالإيمان لشرفه وجعل خلق الناس والدواب آية للموصوفين بالإيقان لأن دلالة الخلق كائنة في نفس الإنسان وما يحيط به من الدواب، وجعل اختلاف الليل والنهار واختلافُ حوادث الجو آية للذين اتصفوا بالعقل لأن دلالتها على الوحدانية بواسطة لوازم مترتبة بإدراك العقل"(٣٠).

ولكن ما هي صفات هؤلاء المحسنين المتأثرين بما يسمعون ويشاهدون من آيات الله؟

(٣٠) التحرير والتنوير ٣٢٧/٢٥-٣٢٨ بتصرف.

المبحث الثالث

صفات المحسنين المتأثرين بما يسمعون ويشاهدون من آيات الله

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فذكر الله في آيات هذه السورة أهم صفات النجاة، وهي إجمالاً(٣١):

أولاً: إقامة الصلاة:

فهم يؤدون الصلاة على وجهها، في وقتها، أداء كاملاً، تتحقق به حكمتها وأثرها في الظاهر والباطن، فيتم الأنس فيها بالله، ويتذوق المصلي حلاوة طاعته حتى يتعلق القلب بالصلاة، وتُقَوِّم سلوك الفرد في الحياة.

ثانياً: إيتاء الزكاة:

"وهذه الصفة تحقق استعلاء النفس على شحها الفطري قال تعالى ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة التغابن ١٦]، وإقامة نظام لمجتمع مسلم يرتكز عل التكافل والتكامل والتعاون،

(٣١) سيأتي مزيد بحث وتفصيل لأغلب هذه الصفات عند شرح وصايا لقمان.

يجد المحروم فيه الثقة والطمأنينة، ومودة القلب التي لم يفسدها الترف ولا الحرمان"[٣٢].

ثالثاً: اليقين بالآخرة:

إن المتأثرين بآيات الله يحصل لهم يقين بما عند الله من الخير والرحمة وحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، ولذلك ينتج عن هذا اليقين: يقظة القلب، وتطلعه إلى ما عند الله، وترفعه عن متاع الحياة الدنيا، ومراقبة الله القليل والكثير، وفي السر والعلن.

رابعاً: الاستسلام لله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال ابن عباس: "العروة الوثقى لا إله إلا الله"[٣٣] فإن من أسلم أمره كله لله، وتوجه إليه وحده وأحسن العمل والظن والقول، فهذا هو حقيقة الإيمان الكامل الذي وصف في بداية السورة بالإحسان، ويكرر الوصف مرة أخرى، مدحا لهم فهم يستمسكون بالعروة الوثقى فلا يلتفتون لنداء ضُلال آبائهم وأجدادهم ولا أبنائهم، ولا لنداء الشيطان الذي لو اتبعوه لجرهم ودفعهم إلى عذاب عظيم.

خامساً: الصبر والشكر:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ "يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر

(٣٢) دراسات قرآنية ص ٢٠٠ بتصرف.

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٧٤ .

لتجري الفلك فيه بتسخيره ليريكم قدرته، وهذا فيه آية وموعظة لكل صبار في الضراء، شكور في الرخاء"[٣٤].

ويفهم من هذا أن الذين يتأثرون بآيات الله إذا وقع بهم البلاء في البحر صبروا لأنهم يعلمون أن البحر بيد الله فيدعون الله، وإذا نجاهم الله من البحر شكروا الله على نعمة النجاة فهم في دائرة بين الصبر والشكر، وأنه لا ينتفع من الآيات إلا من كان له نصيب وافر من الصبر والشكر، فإذا تخلف الانتفاع بالآيات الشرعية أو الكونية فقد يكون ذلك من جهة ضعف الصبر أو الشكر.

وفي الآية فائدة في أن الصبر والشكر يحتاجان لنوع من الممارسة والتكرار حتى يتم الانتفاع بهما.

فهؤلاء الصنف قوم تأثروا بآيات الله فعرفوا الله وآمنوا بالله وتلقوا عن الله وعن رسول الله ﷺ واستسلموا لمنهج الله وصبروا عليه وشكروا الله عليه، فنتج عن ذلك هداية جعلت لهذا العلم وهذا التأثر أثراً على القلب والجوارح، وذلك بالطمأنينة وبالعمل.

(٣٤) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٥١ .

المبحث الرابع
نتيجة التأثر بآيات الله وجزاء المتأثرين

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾. ثم قال تعالى بعدها بآيات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

فنتيجة ذلك الإحسان الحاصل بالتأثر بآيات الله: الفلاح في الدنيا بإتباع المنهج الحق الذي يطهر القلوب والسلوك، ويرفع الإنسان فوق الدنس الذي يعيش فيه مجتمعه، فيتذوق السعادة العاجلة والراحة والطمأنينة في الحياة.

وفي الآخرة يحصل لهم الفلاح الأكبر بالنجاة من النار، ويظهر ذلك حين يدخل الكفار النار في العذاب المقيم، ويدخلون هم في الجنة في النعيم المقيم، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ﴾[سورة الأعراف ٤٤].

فنتيجة التأثير وجزاء المتأثرين يمكن أن نجمله في النقاط التالية:

١) الهداية للحق والفلاح:

فإن من تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق[٣٥]. فقد خص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات:٢٠] وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

(٣٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٢٩.

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة:٤- ٥][٣٦].

وقد "حصل من وصف الكتاب بالمصدر ﴿ هُدَى ﴾ من وفرة المعاني ما لا يحصل لو وُصف باسم الفاعل فقيل هادٍ للمتقين، فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه، فالقرآن لم يزل ولن يزال هدى للمتقين، فإن جميع أنواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى، وفي سائر أزمانه وأزمانهم على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم.

فمن منتفع بهديه في الدين، ومن منتفع به في السياسة وتدبير أمور الأمة، ومن منتفع به في الأخلاق والفضائل، ومن منتفع به في التشريع والتفقه في الدين، وكل أولئك من المتقين وانتفاعهم به على حسب مبالغ تقواهم.

وقد جعل أئمة الأصول الاجتهاد في الفقه من التقوى، فاستدلوا على وجوب الاجتهاد بقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦] فإن قَصَّر بأحد سعيُه عن كمال الانتفاع به، فإنما ذلك لنقص فيه لا في الهداية، ولا يزال أهل العلم والصلاح يتسابقون في التحصيل على أوفر ما يستطيعون من الاهتداء بالقرآن."[٣٧].

---

(٣٦) انظر: مدارج السالكين٢/٣٩٧.

(٣٧) التحرير والتنوير ١/٢٢٥.

٢) الحياة الحقيقية:

فقد أخبرنا الله أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حي القلب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧]، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان [٣٨].

٣) الصلاح والسعادة:

فإن فيه **صلاح الحال**؛ فإن الله يصلح به أحوال المسلمين فيعودوا لمجدهم وحضارتهم. كما أنَّ صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على الانتفاع بالآيات للذكر والمواعظ[٣٩].

٤) الرفعة والعزة والرُقِيَ والتقدُّم:

"وقد رفع الله جل وعلا سلف الأمة بأخذهم القرآن؛ فإن الله رفع القرون المفضلة لما كانوا عليه من الإقبال على هذا القرآن قراءة وعلما وعملا وتعليما ودعوة وغير ذلك من أوجه الانتفاع بالقرآن الحكيم، قال الحسن: "إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار"[٤٠]. وإنّ

---

(٣٨) انظر: إغاثة اللهفان ٢٢/١ .

(٣٩) انظر: إغاثة اللهفان ٢١/١-٢٢ ولمزيد من الفائدة انظر مدارج السالكين ٢٨٦/٣-٢٨٧.

(٤٠) انظر: إحياء علوم الدين ٣٣/٢.

الرُقِيَ للأمة من كلِّ الجهات - فيما يتعلق بعلاقتها بربها وبعلاقتها بالخلق وعلاقتها مع دينها- تحتاج الأمة فيه إلى أن تراجع هذا الكتاب الذي قال فيه النبي ﷺ: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)(٤١).

٥) الحياة والنور:

كما قال الله جل وعلا في وصفه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ [الشورى:٥٢] فهذا القرآن نور وروح فهذه أوصاف تبعث الحياة في الفرد كما أنها تبعث الحياة في الجماعة وكما أنها تبعث الحياة في الأمة فإن الأمة إذا أقبلت على الكتاب بشرت بهذين الروح والنور.

٦) المخرج من الأزمات:

فإن حصول الروح الذي به الحياة والنور ويحصل به التمييز بين الحق والباطل؛ خروج من هذه الظلمات التي أحلكت بالأمة وأحاطت بها من كل جانب لا مخرج منها إلا بالكتاب المبين والقرآن العظيم قال الله جل وعلا: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

٧) المعية الخاصة من الله:

فإن الانتفاع بالآيات يجعلنا من أهل القرآن، فعن أنس بن مالك

(٤١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (١٢١٨)

رضي الله عنه مرفوعاً: (إن لله أهلين من الناس) قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: (هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته)[٤٢].فإنهم أهل الله: لإقبالهم على صفة من صفاته، وخاصته: لأنهم عظموا ما عظم وأقبلوا على كتابه وبراهينه العظيمة التي أرشدنا إليها في كتابه، واحتج بها على من كابر وعاند. نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن تعلم القرآن وعلمه"[٤٣].

٨) العلم والفقه:

"فإن النظر والاعتبار بآيات الله المتلوة والمشاهدة تفقه في دين الله، وطريق نتعلم به ما يجب علينا، وهو حرص على العناية بآيات الله؛ تدبرا، وتعقلا، وتلاوة، واستفادة، ويدعونا للعناية بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام حفظا وعملا وتفقها فيها، وأن نعني أيضا بالسؤال عما أشكل علينا، ونسأل من هو أعلم منا لنستفيد؛ عملا بقول الله سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٣ – ٤٤]

---

(٤٢) أخرجه ابن ماجة كتاب باب فضل من تعلم القرآن وعلمه وأحمد ١٩/٣٠٥ (١٢٢٩٢)٢١/١٧٥(١٣٥٤٢) قال المنذرى ٢/٢٣١ "إسناده صحيح" وصححه شعيب الأرنؤوط، والألباني في صحيح ابن ماجة (١٧٨)، والتعليق الرغيب (٢/٢١٠).

(٤٣) انظر: محاضرة بعنوان: حال السلف مع القرآن للشيخ خالد المصلح في موقع صيد الفوائد.

٩) الاجتماع والنفع:

فإن انتشار حلقات العلم يستفيد ويتذاكر المسلم فيها مع إخوانه الذين يرجو أن يكون عندهم علم حتى يستفيد من علمهم، ويضم ما لديهم من العلوم النافعة إلى ما لديه من العلم، فيحصل له بذلك خير كثير ويحصل له بذلك الفقه في الدين، ويحصل له بذلك البعد عن صفات المعرضين والغافلين، وقد قال ﷺ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[٤٤]"[٤٥]. وفي الحديث المشهور الصحيح: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[٤٦].

١٠) تحقيق الواجب والنجاة يوم القيامة:

فإن الواجب على المسلمين أفرادا وجماعات بأن يعودوا إلى هذا المعين الصافي والمنبع الذي لا تنضب فوائده ولا تنتهي عجائبه ولا تنقضي أسراره وأسباب النجاة فيه. قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٠] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢].

---

(٤٤) تقدم تخريجه.

(٤٥) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٢٨٣/٩.

(٤٦) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).